مات

بقلم سماحة السيد محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفيه

طه عبد الباقى سرور

مات . . مات . . يارحمة الله عليه ! ! !

لم يبق منه الا عبرة فى عين . وحسره فى نفس . ولوعة فى قلب

ولم يبق منه الا ذكرى تثير الحزن . وتبعث الشجن

هذه الدنيا وزينتها . .

وهذه الحياة وبهجتها . .

وهذا العالم وما فيه من حب وكراهية . وسلام وحرب . وأمن وخوف . ووفاء وغدر . وتعاون وتقاطع . هذا وهذا . كله زائل زائل . والبقاء لله وحده (كل شىء هالك الا وجهه . له الحكم واليه ترجعون)

منذ جاء الانسان على ظهر الارض . والموت يطويه فى بطنها . يتخطف هذا ثم هذا . لايبقى على أحد . ولا يفلت من يده أحد . ولا يفرق بين أحد وأحد . هو الموت سبيل الماضين والغابرين . ومورد الخلائق أجمعين . سواء عنده الكبير والصغير . والمعظم والحقير . والقوى والضعيف . هذا وهذا . كله حصاد الموت فيا لها والموت يستعمل فينا حقه الطبيعى منذ كانت دنيانا تتفجع وتتوجع . وتحترق قلوبنا حزنا وتدمى عيوننا بكاء كلما دارت دائرته على حبيب أو قريب ومد حبائله الى صديق أو عزيز . فطواه فيمن طوى . وأخذه فيمن أخذ .

لست أدرى لم لا تردنا حتمية الموت الى الصبر . والرضا والتسليم بسنة جارية منذ كان الانسان على الارض . فلا تتصدع القلوب . ولا تبكى العيون كلما ذهب عزيز أو مضى حبيب . عمرك الله . هل لنا يد فيما نزرف من عبرات ، وفيما ينبعث منا من تفجعات وحسرات ! ! ان الذى خلق الموت والحياة . هو الذى خلقنا نحزن ونفرح . ونبكى ونضحك . . محمد صلوات الله يوم احتسب عند الله

ولده ابراهيم . حزن واستبشر . مستجيبا إلى ما خلق الله فى الانسان من حزن بكاء ثم رده الى الصبر يغالب به ماذكر فى طبع الانسان فقال له . واصبر على ما أصابك .

فاللهم صبرا عليك باطه !! صبرا تطيق به ماتكن الجوانح من حسرة . وماتذرف العين من عبره . وما يحرق القلب من لوعه .

لقد كان لى طه أخا معينا . وصاحبا أمينا . وصديقا وفيا . وعضدا قويا . ولقد مات طه — جادته شآبيب الرحمة ، ولم يبق لى منه الا ذكريات الأخ المعين . والصاحب الأمين . والصديق الوفى . والعضد القوى . وانها لذكريات تحرق القلب . وتصدع النفس ، وتثير الحزن ، وتبعث الوجد ، فاللهم أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين

وكان لى طه صديقا وفيا ، وأخا ثقه
صديقا وفيا فى الحياة
وأخا ثقة فى الله

ومتى وفت صداقه الحياة ، وتوثقت الاخوة فى الله ، كانت أصدق من أخوه العصب ، وأوثق من رابطة النسب .. ورب أخ لك لم تلده أمك .. وكان طه أخى .. يانعم الأخ ! لم يربط بيننا عصب أو نسب ، وإنما ربط بيننا صداقة وفيه فى الحياه ، وأخوة وثيقة فى الله

* * *

وكانت صداقة طه صادقة لى كل الصدق ، يحس الألم الذى أحسه ويبتهج للرضا والخير الذى ألاقيه ، فكنت أشعر كأنه منى ، وكان يشعر كأنى منه .. كما كان طه صديقا لرأيى وعايتى وهدفى ، يصدر فيها عن بينه ، ويتجرى فيها النصيحه ، وأشهد ماأخذت عليه فيهما استوضحته من رأى ، وفيهما استخلصته لمشوره ، وفيهما تنورته من هدف ، مسايرة لهوى ، أو انحياز الغرض ، أو تزوعا لزيف فلقد كنت — أسكنه الله بين الأبرار ، أعهد اليه بالأمر المهم ، والمشكلة المبهمة ، وأنا راضى النفس ، مرتاح الضمير ، فيوفى بالأمر كما كنت أرجو بل خيرا مما كنت أرجو

ويحل المشكلة فى أحسن حل ،وأهدى سبيل وان يداله رأى يخالف ، رفع أمامى الشارة الى الطريق المذلل ، فى تواضع وأمانه وأدب

وكان طه أوفى الأوفياء لوده وحبه ، كما كان أخلص الخلصاء لعمله ، فتراه يلقاك كلما يلقاك بوجهه وقلبه ، فأن غبت عنه حفظ لك العهد

وأصفاك الود وأن تقلبت عليك صروف الزمان ، قال عنك قولا طيبا بلسان رطب وقلب سليم أما فى العمل يسند اليه فله منه قلبه وطاقته وصيانته يبذل فيه كل الجهد ويتحمل فيه كل مشقة . ويأخذ له الأهبة والعده . ويسلك فيه السبيل القويم فى دءوب وصبر ودمة وعناية بغيرادعاء أو زيف وبغير كبرياء أو صلف وحسبه فيما يبذل من جهد ومايعانى من مشقة أن يوفى على الغاية المحمودة والنجاح المأمول وأن يعود بنفس مرتاحه لما أدى من واجب ولما أحرز من نجاح أسكنه الله فى عليين . بين الصديقين والشهداء والصالحين

وكان طه بما وهب له الله من خلق طيب عالما غزير العلم أديبا متذوقا كاتبا متميزا باحثا متعمقا وكان التواضع وانكار الذات، من أظهر أخلاقه كما كانت موسوعته الثقافية ذات ألوان أنه بين رجال الدين فى حلبه فضلائهم وفى مختلف علومهم فى السنة والشريعه والعقائد والمذاهب والدراسات الاسلامية وأنه بين الكتاب ليمضى قلمه فى شئون شتى من علم الى ثقافة الى اجتماع الى سياسة وهو فى كل من هذا وذلك يشير مقاله الى أسلوبه المتميز وفكره المتوقد ومعرفته الغزيرة وطابعه الذاتى لايقلد كاتبا ولاينسج على منوال كاتب تقرؤه فى كل فن من أولئك الفنون فتقرأ كاتبا بعيد المدى طويل الباع جم المعرفة ويخيل اليك أن اختصاصه ينفرد فى هذا الفن دون غيره فاذا قرأته فى ناحيه أخرى بهرك بسعة اطلاعه وغزير علمه

لقد أسندت اليه الاشراف على مجلة الاسلام والتصوف التى تصدرها مشيخة الطرق الصوفية فكساها بحسن ذوقه ودقه اخراجه وحسن تنسيقه ثوبها القشيب وحلتها البهية وأحكم صياغتها وأحسن بتويبها

وأضفى عليها طرافة وجدة جذبت اليها القارئين وبلغت رسالة التصوف لجمهرة

المثقفين . وأغرتهم بدراسة التصوف والتعرف على سير المتصوفين ثم غذاها بموضوعات شتى ليست من التصوف . لكنها تمت إليه بسبب . وينتهى معه إلى نسب . موضوعات فى شئون الحياة والمجتمع والتشريع والاقتصاد والسياسة والادب . فأبانت عن التصوف حقيقة كانت لاتزال مستورة عن كثير من المثقفين وهى أن التصوف يستهدف ناحيتين احداهما علاقة الانسان بربه . وتوثيق صلته بخالقه ومراعاة جانبه فى كل مايصدر عنه من قول أو عمل . والناحية الثانيه تبيان صلة التصوف بالحياة وتهذيبها . وتنقيتها مما شابها من الجشع والطمع والعدوان . وأن يستضىء الانسان الى عمله فى الارض بنور الله فى السماء ويهتدى بكتاب الله وسنته فى جميع شئون الحياة . وأن تكون القيادة فيما يصدر عنه من تصرف إلى روحه وبصيرته لا إلى جسمه وهواه ، وأن يشعر بأن قوته فى الارض خاضعة لقوة الله الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير .. وأن تحل الرحمة والاخوة ، والامن والمحبة ، والتعاون بين الناس محل الجفوة والغلظة ، والفزع والشدة والكراهية والطغيان ، وما إلى أولئك مما يسود العالم فى هذا الزمان هذه هى رسالة التصوف التى نعمل على أدائها وتحقيقها بين الناس لقد أعانني المرحوم الاستاذ طه على المضى فى تحقيقها كما أرى وكما أريد . فله منا الدعاء . ومن الله حسن الجزاء . غفر الله لك ياطه بقدر ماكان علمك وصلاحك وتواضعك وانكارك لذاتك ، وعملك فى خدمة الدين : والارشاد الى الحق والى طريق مستقيم ، وتولى أشقاءك وأنجالك وأسرتك بالصبر والعزاء والرعاية . اللهم اكتبه فى المحسنين واجعل مقامه بين الابرار فى علبين واغفر لنا وله يا إله العالمين

محمد محمود علوان

شيخ مشايخ الطرق الصوفيه